أثر التغير التركيبي في الشكل المعماري على المتلقي مستقبلاً

د. مؤمل علاء الدين ابراهيم
أستاذ مساعد

بديعة علي محمد علي الجبوري
ماجستير هندسة معمارية

المقدمـــــــة:

العمارة كاللغة هدفها إيصال المعنى، واذ لا يخرج أي معنى من انه منظومة، يصبح التغير فيه صفة ملازمة لـه كواحدة من أهم صفات أي نظام... ومن ذلك تتغير العمارة بين فترة وأخرى ويتغير معناها.

يقترن أحداث تغير في العمارة بإعطاء دور للمتلقي في تأويلها، إذ يحاكي تغيرها القدرة الفكرية له عندما يفاجـأ الذهن بعمارة غير معروفة خصائصها مسبقاً، مما يجعل المتلقي مشاركاً للمبدع في عملية الإبداع ويصل الـى مرحلـة الإبداع في إدراكه للعمل.

من ذلك مثلت دراسة أثر التغير في النظام على المتلقي مستقبلاً المشكلة العامة للبحث، قلص نطاقها بالأقتصـار على دراسة التغير في أحد أبعاد المعنى المطروح ضمن نظرية الدلالة المتمثل بالتغير التركيبي للنظام وأثره علـى دور المتلقي في الأستقبال لتمثل مشكلة البحث الخاصة.

تناول البحث الدراسات المعمارية التي ناقشت موضوع العلاقة بين التغير التركيبي في النظام بدور المتلقي فـي الأستقبال إذ نوقشت على أساس دقة أدوات قيامها وشموليتها وموضوعيتها لمناقشة الموضوع، وإذ تبين قصورها معطياً تصوراً غير واضحاً عن الموضوع، تطلب من البحث القيام ببناء مقياس يعطي تصوراً واضحاً عنه.

وبذلك أتضحت مشكلة البحث الرئيسية: عدم وجود تصور نظري واضح عن أثر التغير التركيبي في النظام على دور المتلقي في الأستقبال.

وعليه كان هدف البحث الرئيس: تحديد طبيعة تأثير التغير التركيبي في النظام على دور المتلقي في الأستقبال و في ضوء الهدف أتبع البحث منهجاً يهدف الى بناء مقياس بمناقشة الآتي:

1- مناقشة المتغيرات البحثية التي تناقش التغير التركيبي في النظام الأساسي الذي يفسح دوراً للذاتية في الأستقبال مـع مؤشرات قياسها.

2- مناقشة المتغيرات البحثية التي تناقش دور المتلقي في الأستقبال مع مؤشرات قياسها.

3- مناقشة تصميم الصيغة المطورة للقياس بأعتماد الدمج بين مؤشرات القياس المطروحة في الفقرات السابقة.

كما يطرح البحث الصيغة المعتمدة لأختبار الفرضيات و طريقة معالجة المشاكل و تحليل العلاقة بين المتغـيرات. بعدها يطرح البحث أهم الأستنتاجات المستخلصة من القاعدة النظرية للبحث والدراسة العملية.

المقدمات (القضايا) اما مادة القياس فتعني مضمون المقدمات (القضايا) اما مادة القياس فتعني مضمون المقدمات (القضايا) التي تتألف منها. ويقسم القياس بحسب مادته وأختلاف قضاياه (مقدماته) الى خمسة أنواع أساسية. فالقياس البرهاني يعتمد بالدرجة الأساس على المقدمات اليقينية بأنواعها والقياس الجدلي يعتمد على المسلمات او المشهورات والقياس الخطابي يعتمد على المظنونات والمقبولات والمشهورات في الظاهر، أما القياس المغالطي فيعتمد بالدرجة الأساس على المشبهات والوهميات ويعتمد القياس الشعري أخيراً على القضايا المخيلات.

بعد حضور وسط في الذهن عند تصور طرفي القضية، مثل (النصف يساوي 4:2).

وقد تضاف القضايا الباطنة الى القضايا اليقينية، ويقصد بها القضايا القطعية التي يدركها الأنسان بقواه الباطنة (الأستبطان) دون الأعتماد على حس او عقل (كالخوف والفرح).

ب- القضايا اللايقينية (اليقينية المؤقتة، او النسبية المحدودة)، وهي:

1- المشهورات التي أوجب التصديق بها شهادة الكل او الأكثر (مثل الكذب والقبح).

2- المقبولات: القضايا المقبولة عند بعض الناس ممن حسن الظن والأعتقاد بصدقهم.

3- المظنونات: التي تفيد غلبة الظن مع الشعور بأمكان نقيضه، مثل (انما يخرج فلان بالليل لريبه).

4- المسلمات: التي سلم بها خصمان وتوافق عليها.

5- الوهميات: التي يقضي بها الوهم الإنساني قضاءاً جازماً رغم عدم يقينيتها (الخوف من الميت).

6- المخيلات: التي يعلم بكذبها ولكنها تؤثر في النفس بالترغيب والترهيب (أغلب القضايا المستخدمة في الشعر).

7- المشهورات في الظاهر: وهي القضايا التي يقبل بها عند سماعها باديء الأمر ثم يظهر عدم قبولها بعد تأملها مثل (أنصر أخاك ظالماً او مظلوماً).

8- المشبهات باليقينيات او المشهورات: وهي القضايا الكاذبة التي يتم الأعتقاد بها لكونها تشبه اليقينيات او المشهورات في الظاهر.

9- المغالطات: ويمكن ادراجها تحت المشبهات لكونها تحل القصد والتعريف ذاته. تقسم قضايا المعرفة، حيث يقينيتها.

11- أنظر الهامش أعلاه في تقسيم وتحليل قضايا المعرفة.

12- وهي المفردة التي طرحها السفسطائيون من قبل وتبنوا فيها الموقف الشكي في المعرفة والدعوة الى ذاتية الحقيقة ونسبية الحكم.

13- النسبية (Relativity) هنا هي النظرية الفكرية(الموقف الفكري) التي تقول بأن كل المعرفة والقيم ليست مطلقة بل تنتسب الى الذوات والعلاقات. ولا علاقة لها بالنظرية النسبية لأينشتاين رغم وجود الشبه الظاهري بينهما.

14- الذات والموضوع: مقولتان فلسفيتان، وكان يعتقد مبدئياً بالذات (عند أرسطو مثلاً) مجموع صفات وحالات وأفعال معينة. وبهذا المعنى كان يوجد بينهما وبين مفهوم الجوهر. ثم تغير هذا المفهوم لاحقاً ويعتبر المثاليون الموضوعيون ان الموضوع هو نتيجة ونتاج لنشاط الذات التي كانت تعتبر الى جانب هذا وجوداً وجوهراً مثالياً خالصاً. روزنتال ويودين، ترجمة سمير كريم، الموسوعةالفلسفية، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت. الطبعة الأولى، 1974،ص 198.

15- تطلق المثالية على وجهة النظر الفلسفية التي تعتبر ان قيم الروح والذهن أساسية في العالم ككل وبهذا فهي تقف على نقيض المثالية.

16- الطويل، د.توفيق، مصدر سابق، ص97.

17- هناك بعض التيارات التجريبية التي تبنت قيماً مثالية مقابل بعض التيارات العقلانية التي تبنت قيماً واقعية.

18- القياس Syllogism

وهو أستنتاج قضية جزئية (نتيجة) من قضيتين (مقدمتين) تلزم عنها بالضرورة لزوماً صارماً بالصدق او الكذب. او عبارة عن أستدلال غير مباشر اذا سلمنا فيه كمقدمات معينة Premises لزم عنها بالضرورة نتيجة Conclusion كما ان لكل قياس صورة ومادة، فصورة القياس تعني هيئة القياس الناتجة من ترتيب

عن الواقع، وبين ما هو تجريبي نسبي متصل مع متغيرات الواقع، فتتوازن بذلك العلاقات الشكلية بين المقدمات اليقينية للأشكال الأساسية الواضحة العامة وبين المقدمات للأشكال المتوازنة الخاصة.

المصادر والهوامش

1- Edwards, the Encyclopedia of philosophy, vol.1967.p.499 .

2- الجابري، عابد، مدخل الى فلسفة العلوم - الجزء الثاني - المنهاج التدريبي وتطور الفكر العلمي، دار الطليعة، بيروت، 1982 ص 32 .

3- لقد قادت التطورات العلمية الى ظهور مفهوم الملائمة او المواضعة، وهو يعني ان النظرية لا تكون صحيحة او غير صحيحة وانما تكون ملائمة للوصول الى اكبر قدر من الموضوعية عند دراسة ظاهرة معينة.

4- من التجريبيين القدماء (ابيقوروس وبروتاجورس وأرسطو) وفي العصور الوسطى برز (توماس الأكويني) تبعه (بيكون وهوبز ولوك وبركلي وهيوم) ثم تلاهم (مونت وأرنست ماخ وكارتاب) أصحاب الوضعية والوضعية المنطقية ثم المحدثين ومنهم (راسل و وايتهيد).

5- الطويل، د.توفيق، أسس الفلسفة، 1979، ص 341 ، ومنها ايضاً والبديهيات الرياضيات مثل المساويان لثالث متساويان والبديهيات المنطقية مثل الكل اكبر (اعظم) من أجزاءه.

6- حمدي، فاتنة، مناهج البحث العلمي، كلية الآداب - جامعة بغداد، 1997، ص9.

7- الجابري، عابد، مدخل الى فلسفة العلوم- الجزء الأول-الفكر الرياضي والعقلانية المعاصرة، دار الطليعة - بيروت، 1982، ص51.

8- من العقلانيين القدماء (بارمنيدس وأفلاطون) وفي العصور الوسطى برز (ديكارت ولايبنز وسبينوزا) تبعهم (هيغل وكانت وبوبر) في العصر الحديث.

9- O'Connor.A Critical History of Western philosophy. The Free Press, N.Y.,1964.p(153)

10- تقسم قضايا المعرفة من حيث يقينيتها الى:

أ- القضايا اليقينية ومنها:

1- القضايا الأولية (البديهية): وتضم كل أنواع القضايا التحليلة والقضايا الواضحة بذاتها والقضايا التي يمكن الحكم بصدقها لبداهتها ووضوحها. وهي القضايا التي يحكم العقل بها لذاتها دون سبب خارجي عنها، وهي المعقولات الأولى والعلوم الضرورية الصادقة.

2- القضايا الحسية (الحسيات): وهي الأوليات الحسية التي يقتضي العقل لتصديقها ان يقرنها بالحواس الظاهرة مثل (العسل حلو).

3- القضايا التجريبية: وهي القضايا التي يحكم بها العقل بواسطة تكرار التجربة والمشاهدة بحيث يحكم الصدق بها بالعقل والحس معاً مثل (المعادن تتمدد بالحرارة).

4- القضايا المتواترة: وهي القضايا التي يحكم بصدقها بأعتقاد جماعة معينة (مجتمع أو مجتمعات) بالأخبار عنها، فيستحيل الشك فيها، وتسكن النفس اليها سكوناً يحصل فيه الجزم القاطع عليها (مثل وجود بعض المدن مثل مكة المكرمة للذي لم يرها).

5- القضايا الحدسية: وهي القضايا التي يحكم العقل بها بعد تصورها دفعة واحدة بحيث يذعن الذهن بمضمونها دون الحاجة الى التجربة او صدق الأحاسيس.

6- القضايا الفطرية: ويطلق عليها ايضاً (القضايا التي قياساتها معها)، وهي التي لايصدق بها العقل الا

أما الأنفصال الكلي عن الواقع المادي فقد يسمو فوق الحقائق الجزئية التي تشكل حاجباً أمامه للأنطلاق الى عالم المثل والكليات اليقينية المطلقة، الا أنه في عين الوقت يبتعد عن المشاكل الواقعية اليومية ويتجرد منها الىعالم آخر يبتعد عنها، فيعزل نفسه عن الرغبات الذاتية الفردية الخاصة ويبحث عن تحقيق مواضيع كلية عامة متجردة عن كل الجزئيات (المحلية والواقعية والموروثة)، ويفترض ان ذلك يقود الى خلق أشكال وهيئات ذات قيم أزلية مطلقة غير مرتهنة بطرز معينة او تأثيرات محلية خاصة، ويفترض ايضاً ان هذه الأشكال ستكون واضحة بذاتها لدى المتلقي بتغير الزمان والمكان. وهذا قد يقود في الجانب المتطرف منه الى الوصول الى الدرجة الالية من التجريد والعمومية لتترفع بالموضوع فوق المستوى المادي، وبالتالى تفصل أي علاقة تواصلية (أتصالية) مع الذوات المنفردة للمتلقين وقد تنحصر في مفهوم لغة النخبة أو عالمية اللغة، وكلا المفهومين تجعل الذات تقف في حيرة بسبب عدم تمييزها بين ما هو خاص بها وعام بالمجموع وبين ما هو ذاتي لها وموضوعي للكل، وقد يصبح كل ما هو خاص بك عام للكل، وهنا تفقد الخصوصية معانيها وتتحول الى مجرد قيم في عمومية كلية.

ان المعرفة المعمارية اليوم بامس الحاجة الى ان تتحول من موقع المتلقي للطرز والقيم الفكرية، الى موقع القيادي في البناء المعرفي الفكري أولاً ثم المعماري، وأن تقف على المجال البيني (المعرفة البينية) بين ما يجب التواصل معه من واقع مادي يستوجب إثارة العواطف والأحاسيس، وبين ما يجب الأنفصال عنه والأعتماد على العقل وعملياته المنطقية في بناء المعرفة. ان النظر الى مجال المعرفة البينية يتيح الأمر للنظر الى مفهومي التواصل والأنفصال كحقيقة واحدة ذات أوجه متعددة وليس كتناقضات تستوجب البحث عن أولوية أحدها على الآخر. وان جدلية التناقض في التواصل أو الأنفصال ستكون جدلية معرفية تكاملية نطلق عليها (تكامل لمتناقضات)، بل وحدتها ذلك ان كل مكونه (من التناقضات) تعبر عن وجه واحد من الحقيقة وليس عن الحقيقة كلها. وان المعرفة سوف تكون بالتالى عليه تمثيل (Representation) للعلاقة بين الذات العارفة والموضوع المعرفي، لذا فالذات بالتالى لا يمكن ان تكون بدون موضوع، بل هي ذات تاريخية، بمعنى انه تقوم بمراجعة المعرفة السابقة (العقلية والتجريبية) وتعديلها وفق المعطيات الجديدة.

ان مجال المعرفة البينية سوف يوفر إمكانية تجاوز التحليل (التحديد) اللغوي للمفردات والألفاظ الخاصة بالمكونات ويلغي الحد الفاصل معها. وهو ما تسير الفلسفة الحديثة بأتجاهه أيضا، فالتواصل اليوم يجب ان يجمع بين التواصل الفكري للواقع المادي مع عالم الماهيات المطلقة، والأنفصال اليوم يجب ان يفصل بين ما هو جزئي بشكل حاجز أو غشاء أمام الذات وبين ما هو واقعي يوفر للذات مجالا لأنطلاق نحو عالم المثاليات، فالمثالية اليوم ترى في المعرفة عنصرا واقعيا يجب الأتصال به، والواقعية لم تعد تشير الى الوقائع المادية فحسب، بل هي كل الوقائع المثبت وجودها او أثرها في الواقع العلمي، فتكون في هذه الحالة للأفكار واقعيتها وللنظريات واقعيتها كما للأشياء العينية واقعيتها.

ان الأبتعاد عن النظرة الأحادية عن النظرة الأحادية المغلقة، بين ما يجب التواصل معه كواقع مادي ملموس، و ما يجب الأنفصال عنه بأتجاه العالم المعنوي المثالى، والأخذ بالنظرة الشاملة (المابينية) سوف يفتح الآفاق للموازنة بين العقل والتجربة بين المنطق والملاحظة والمشاهدة، فتكون العمارة الناتجة متوازنة بين ما هو عقلي منطقي يقيني بديهي منفص

العلمية، وتنكر دور العقل في ذلك بل يذهب بعض التجريبيين المتطرفين الى أعتبار العقل صفحة بيضاء تخط التجربة عليه سطورها، فأن العقلانية على العكس منها تعتبر ان العقل يمثل الوسيلة الوحيدة لبناء المعرفة العلمية واليقينية، وان التجربة والمشاهدة لحسية تمدنا بمعلومات جزئية غير متكاملة عن لظواهر الطبيعية في العالم، ويكون دور العقل بالأستدلال من المعقولات الأولى والبديهيات الواضحة في الوصول الى المعرفة الصادقة الشاملة.

تتبنى التجريبية التواصل مع الواقع المادي المحسوس وتعتبره الأساس في تكوين المعرفة وتفترض ان الأشارات والرموز المستخدمة يجب ان تعطي الأمكانية لتعدد المتلقين (الذوات العارفة) التواصل معها وفهمها كل حسب خبرته الذاتية وبما يعزز مفهوم تداعي المعاني أو الترابط (Association) لذا فالتجريبية تعتمد على أستثارة المشاعر لدى المتلقي كالية أساسية في عملية التواصل. وهذا يستدعي حشد العناصر الفيزيائية وتعددها وتكثيف حجم العلاقات بينهما لتعطي إمكانية للتأويلات المتعددة للمواضيع، بل للموضوع الواحد. وفي مقابل ذلك تنظر العقلانية للتواصل بمفهوم آخر مختلف تماماً، فهي تفترض ان التواصل يعني اتحاد الفكر الجزئي للذوات المنفردة مع الفكر الواحد المطلق، وتعتبر ان لكل موضوع عيني ماهيات تلتقي بالماهية المطلقة الكلية التي تفترض انها سابق على الوجود العيني الجزئي، لذا فهي تدعو للأنفصال الكلي عن لواقع المادي المحسوس وتنقية الذهن بكل ما علق به من شوائب من الفكر التقليدي الموروث – وبالتالى السمو به في عالم المثل والقيم المجردة السامية وعالم الماهيات الكلية المطلقة.

أما العمارة الأسلامية، وبالأخص في مراحل الأستقرار الفكري لها، فقد جمعت بين القيم العقلانية المطلقة لبدايات الفكر الأسلامي التي شملت القضايا الأولية واليقينية للتوحيد وثنائيات الموت والحياة والخلود والفناء والحق والباطل وبالتالى أستدعت الأنفصال ن كل ما هو موروث من التعددية القبلية للفكر الجاهلي الذي سبقها، وبين القيم التجريبية للتواصل مع الواقع المادي الذي ألتزم الأهتمام بدور الملاحظة والمشاهدة للوقائع الجزئية للعالم الفيزيائي في سبيل أستخراج القوانين الكلية للحواس التي تربط الظواهر مع بعضها، فكان البناء الفكري لها متكاملاً ومتوازناً بين التواصل التجريبي للواقع المادي والأنفصال العقلاني من هذا الواقع للأنطلاق به في عالم الكليات اليقينية.

ان التواصل التام مع الواقع المادي يقود الى حجر الفكر وتحديد قابلية الذات وحصرها في تأويل ذلك الواقع والأعتماد على ما يثيره من مشاعر لدى المتلقي ويتطلب بالتالى اما اعادة استخدام العناصر (المعمارية) الموروثة بأستنساخها التام او بإعادة ترتيب علاقتها (بتهكم) لغرض خلق المحاكاة معها واعطاء امكانية للتأويل المتعدد للذات المتلقية من خلال اعتبارها رموز للأشارة الى مرجع يثير لدى الذات أحساساً خاصاً يستخدمه المصمم للتواصل مع المتلقي، وقد يقود تعدد التأويلات أو تعددية الأستعارات لتلك العناصر كرموز الى بقاء المجال مفتوحاً للحكم على الموضوع، إذ يصبح ذلك متوقفاً على قبول الموضوع وأستحسانه وصحته بالنسبة للذات الفردية الخاصة، وبالتالى يكون ما هو مقبول أو صحيح لدى ذات معينة هو صحيح كعنصر من العامل المشترك مع ما هو صحيح لذوات أخريات، وكل ما هو حق عندي فهو حق وكل ما هو حق عندك فهو حق، فتطول بذلك يد النسبية كل القيم الصحيحة والحقة وتشكك بموضوعيتها.

4- بنية التواصل والأنفصال في العمارة العربية الأسلامية

يغلب على العمارة الأسلامية الطابع الديني من خلال سيطرة الفكر الديني للأسلام بمفاهيمه وتعاليمه ولقد كان تأثير الدين في بداية الدعوة الأسلامية منذ عهد الرسول محمد (عليه الصلاة والسلام) وخلال عهد الخلفاء الراشدين عقلانياً مثالياً واضحاً، فالمبادىء الأولية التي جاء بها الأسلام دعت الى رفض كل ما يحمله الواقع المادي من قيم متوارثة غير صحيحة للعصر الجاهلي قبله وهي دعوة واضحة للأنفصال عن القيم المادية والبحث عن التواصل العقلي مع الفكر التوحيدي للدين، والشك بكل المبادىء والمسلمات لعصر التعددية القبلية والفكرية. لذا كان الأساس للدين الأسلامي هو الدعوة الى الوحدة (وأساسها التوحيد لله تعالى)، من خلال المبادىء اليقينية والمسلمات الواضحة التي جاء بها الأسلام. لقد ساعدت مبادىء العقلانية على أنتاج عمارة أثبتت رغم عزلتها بعض الشيء في بداياتها عن الموروث المعماري للأنسانية، أنها قادرة على تبني مفاهيم العقلانية بأنتاج عمارة بسيطة ونقية وذات أشكال أساسية (مربعة أو مستطيلة) واضحة بذاتها بأعتبار أنها تحمل قيماً مطلقة ومثالية موضوعية، وذلك اذا استثنينا الدور الوظيفي للمساجد بوجود المحراب بأتجاه القبلة وتأثيره على الناتج الشكلي بتعزيز قيم التناظر والمحورية. وكذلك التناسب في الأبعاد بأسلوب واضح وبسيط، وهي قيم تشكل أسسا التوجهات النظرية والفكرية والشكلية للعقلانية.

ان جدل الفكر الأسلامي دائري، حول مركز واحد هو الله تعالى، فهو الأول والآخر سبحانه، فالبداية والنهاية تكون حوله، ويأتي المربع الذي يرمز للعناصر المادية الأربعة الأساسية للأرض (الهواء والماء والتراب والنار)، وبالعلاقات الشكلية التكوينية للدائرة والمربع وتقاطعاتها تأخذ الزخرفة الأسلامية منحى آخر في التضمينات الفكرية والرمزية والمعنوية للشكل. وتدخل الحضارة الأسلامية بتوسعها وأمتدادها أتجاهاً فكرياً قد يبدو مغايراً بعض الشيء لبدايته ولكنه يحمل المضامين الأساسية للدعوة الأسلامية.

لقد بدأت هذه التوجهات منذ عهد الخلفاء الراشدين وأزدادت شدتها بعد هذه الفترة، اذ بدأت الحضارة الأسلامية تتجه بأتجاه الجمع بين العقلانية المطلقة المثالية لتعاليم الدين الحنيف والتجريبية المادية الفيزيائية للواقع الموجود، فتوازنت اليقينيات الأولى والمسلمات الأولية التي جاء بها القرآن الكريم مع المقدمات التجريبية التي بنى عليها المسلمون حضارتهم اللاحقة. فمن اليقينيات والمسلمات الواضحة والبديهية للتوحيد وثنائية الموت والحياة والفناء والخلود، بنى المفكرون قضاياهم المعرفية في الرياضيات والمنطق والهندسة والجبر والتشكيلات الهندسية للزخرفة بأعتماد المنهج البرهاني الذي أرتبط بمنظومة التناسب والعلاقات التناسبية بين الأجزاء والكل كمبدأ أزلي خالد، وكان ناتج ذلك ان أخذت العلاقات الشكلية للهيئة الحضرية خصائص التوجهات العقلانية في الأنفصال والتجريبية في الأتصال فالأشكال الهندسية الأساسية للفكر العقلاني تستخدم للمساجد والقصور والأبنية العامة، والأشكال العضوية التجريبية للأبنية العامة تشكل الخلفية لها لأبرازها وتأكيدها.

لقد دعا الفكر الأسلامي للموازنة بين التجربة مع الملاحظات والمشاهدات الجزئية للواقع المادي وبين الأنفصال من هذا الواقع الى عالم القوانين الكلية لماهيات المواضيع.

مناقشة نهائية

التجريبية والعقلانية أتجاهان أساسيان في الفكر الفلسفي والمعرفي، وبينما تشير التجريبية الى أهمية التجربة الحسية والملاحظة والمشاهدة في بناء المعرفة

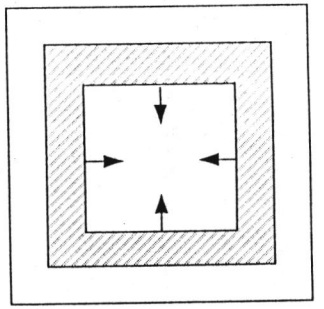

Inward Looking Planning

- الذات محتواة من الموضوع.
- أستخدام الموضوع العام لحماية الذات الخاصة.
- لايمكن الأختراق الى الذات ألا من خلال الموضوع.
- لذا لا يمكن التواصل مع الذات الا من خلال فهم وتحليل العناصر البنائية والتكوينية للموضوع.
- التواصل بوجود الذات العارفة للمستخدم.
- الأنفصال بتحقيق درجة عالية من الحماية والأمان بأستخدام أسلوب الغموض للمتلقي الغريب.
- تجريبية مثالية: لايمكن أدراك الموضوع الكلي للهيئة الحضرية الا بوجود الذات العارفة.
- عقلانية واقعية: التشكيل الهندسي الواضح للبناء الداخلي كجزء من التعبير عن القيم العقلانية القبلية وكذلك الهندسية العالية للأبنية العامة على مستوى التخطيط.
- الشناشيل والفتحات الخارجية وتفاصيلها.

عناصر مشتركة (ذاتية- موضوعية) تتمازج مع المضوع وتعبر عن قوة الذات في تحقيق القيمة الجمالية عبر الموضوع وهي مألوفة لدى المستخدم ولكنها تبدو غير واضحة للمتلقي.

- التواصل مع الهيئة الحضرية. تواصل بصري تأملي من خلال إبراز مآذن الجامع كعنصر عمودي دال على الجزء المهم من الهيئة الحضرية رغم ان المحاور الحركية لا تصل اليه بشكل مباشر معبرة عن تجريبية الحل وتعددية الخيارات للوصول.
- التوجه نحو الداخل يظهر في العمارة العراقية عموماً معبراً عن البنية الفكرية للمجتمع.
- كما يظهر في العمارة العراقية القديمة كجزء من العمارة العربية.
- وقد تبني العمارة الأسلامية هذا المفهوم كونه يتوافق والبنية الفكرية للمجتمع الأسلامي.

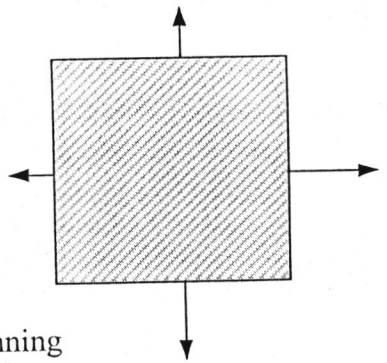

Outward Looking Planning

- الذات تكشف عن نفسها عبر الموضوع.
- الذات تتطابق مع حدود الموضوع (والحدود هنا هي المجال الفكري للعلاقة بين الخاص والعام).
- الخاص يكشف نفسه مع العام ويتطابق معه.
- أمتداد الفضاء لخارجي مع الداخلي.
- التقليل من سمك الجدران الخارجية الى أبعد حد ممكن وجعلها بشكل غشاء رقيق شفاف لتعبر عن الدرجة العالية من العمومية 0امتداد الفضاء خارج وأدخال البناء كعنصر عمومي شامل).

الواقع بكل قيمه المادية بـــأفتراض ان معـــاني القيـــم والأجزاء المادية قد تتغير بتغير الزمن ولكـــن يمكـــن أستخدامها كمفردات شكلية في التكوين الكلي بالأســـتناد الى قوة وجودها الواقعي في العالم العيني للأشياء. كما في التوجهات الفكرية لعمارة ما بعد الحداثة.

ان فهم الماهيات الكلية المطلقة للمواضيع يستدعي بغير شك السمو فوق العناصر الواقعية العينية له والأنفصال عن الجزئيات الحسية لأنها لا تعتبر إلا عن جزء مـــن الحقيقة، بل يعتقد العقليون المثاليون انها تمثل حـــاجزاً مادياً يقتضي تجاوزه والتخلي عنه بحثاً عـــن الحقيقـــة الكلية للتواصل والتوحد معها بعيـــداً عـــن الظواهـــر الحسية الجزئية (وهذا ما دعت اليه عمارة الحداثة). أما التجريبيون الواقعيون فالحقيقة عندهم هي هذه العناصر والأجزاء والمواضيع المنفردة التي تعبر عن ذاتها فقـط تعبيراً مظهرياً حسياً يقتضي الأمر المعرفي التواصـــل معها وفهمها بالترابط الحسي والعاطفي معها من الذات المدركة. لذا أهتم المعماريون التجريبيون الواقعيـــون بالبحث عن المفردات المادية الواقعية مـــن المـــوروث الحضاري للمجتمعات المنفردة، ومحاولة طرحها بمعان وعلاقات جديدة، كما أشرنا الـــى ذلـــك ســـابقاً عنـــد معماريي ما بعد الحداثة، بإعـــادة أســـتخدام عنـــاصر كالأقواس والشناشيل والأعمدة والتفـــاصيل الخاصـــة بطرز معينة، أما عن طريـــق النســـخ أو التكـــرار أو المحاكاة اذ انها مواضيع تستدعي اثارة الذات المدركـــة بحسب خبرتها الخاصة. اما المعمـــــاريين العقلانييـــن المثاليين فببحثهم عن القيم الكلية المطلقة الكامنـــة وراء الظواهر الجزئية النسبية فهم يتبنون مفـــاهيم الأشـــكال الأفلاطونية الأساسية والنسب الذهبية وغيرها كوســـائل لتمكين الذات العارفة من خلالها التواصل مع الحقيقـــة الكلية المطلقة لما خلف الوقائع الجزئية.

وخلاصة القول ان النظر الى جدلية التواصل والأنفصال تختلف كلياً في الفكر العقلاني فالمعرفة عند العقلانيين كلية مطلقة سابقة عن التجربة الذاتية اللاحقة، فالتواصل بذلك يكون فكرياً عقلياً عبر التأمل وحدس الماهيات، تأمل الأشكال ذات القيم المطلقة الأزلية، التي تقل فيها النحتية والزخرفية الى الحد الذي تظهر فيه الأشكال بقيمتها المجردة وبالطاقة الكامنة لموضوعيتها وبذلك تقل درجة التأويل للمتلقي وتضعف، ويبقى بالتالى الموضوع يعبر عن قيمه المتواصلة مع الحقيقة الكلية العامة بعيداً عن الخبرات الذاتية الفردية للمتلقي.

3- الذات والموضوع [14]... عنصري المعرفة في جدلية التواصل والأنفصال

تنتج المعرفة الأنسانية بشكل عام من العلاقة المتبادلة للذات العارفة والموضوع، وقد عرض الفلاسفة للبحث في طبيعة هذه المعرفة الأنسانية وحقيقتها، وحاولوا ان يعرفوا كيفية العلم بالأشياء، وان يقفوا على أتصال قوى الأدراك بالشيء المدرك، وعلاقة الأشياء المدركة بالقوى التي تدركها، فكان هذا مثار لأختلاف الباحثين من الفلاسفة ألتقت عنده المثالية (التصويرية) Idealism والواقعية Realism بمختلف توجهاتها. وتطلق المثالية [15] على جميع التيارات الفكرية التي تجعل وجود الأشياء الخارجية ومواضيعها متوقفاً على وجود القوى التي تدركها، أي ان الموضوع المعروف يعتمد في وجوده على وجود الذات العارفة، وبذلك يكون الموضوع هو نتيجة ونتاج لنشاط الذات التي تعتبر الى جانب هذا وجوداً او جوهراً مثالياً خالصاً فأذا أنعدمت قوى الذات أستحال وجود العالم الخارجي، وبهذا تتصل وتتوحد المعرفة والوجود عند المثاليين وتتصل وتتوحد الذات المدركة مع الموضوع المدرك [16]. أما الواقعية فتطلق على مجموعة التيارات الفكرية التي تشترك في خصائص متعددة من أبرزها القول بأن للأشياء الخارجية وجوداً عينياً مستقلاً عن العقل الذي يقوم بإدراكها وعن جميع أفكار ذلك العقل وأحواله، وبذا فالواقعية تعتقد بالأستقلال الموضوعي للعالم الخارجي عن الذات العارفة، وتعتبر ان معرفة العقل مطابقة لحقائق الأشياء المدركة، فليس العالم الخارجي كما هو مدرك في عقولنا 'لا صورة لهذا العالم كما هو موجود في الواقع والعلاقة التي تقوم بين الأشياء الخارجية وأفكارنا التي نمثلها في عقولنا علاقة مشابهة ومطابقة. فالمعرفة عند الواقعيين أدراك عقلي او حسي مطابق للأعيان في العالم الخارجي او هي انعكاس العالم الخارجي على العقل.

وتتوجه أغلب التيارات الفكرية العقلانية بأتجاه المثالية (17)، ذلك لأن المثالية تقتضي ان تكون الأفكار سابقة على المحسوسات والكليات على الجزئيات، لذا فأن أي موضوع عيني محسوس يعرف عن طريق الوقوف على ماهيته وخصائصه الذاتية التي يشترك فيها مع أفراد جنسه، وبهذا يتحتم ان تكون ماهيته سابقة على وجوده المشخص، كما ان وجود الأشياء متعلق بوجود ذات عارفة. ويظهر ذلك واضحاً في البحث عن ماهية الأجزاء أو الأبنية المنفردة بعيداً عن طرازها الشكلي، عند العقلانيين المثاليين، بغية التواصل مع القيم الكلية السابقة على الأشكال، بل التواصل مع ماهيات العلاقة لهذه الأشكال بعيداً ن أنعكاساتها الواقعية المتجزئة، كما في الطروحات الفكرية لعمارة الحداثة.

وفي مقابل ذلك تبنت أغلب التيارات التجريبية قيماً واقعية، معتبرة ان الواقع المادي الموجود هو انعكاس للواقع الموضوعي وأن، العلاقة بينهما هي علاقة تطابق وتشابه. وان كثيراً من التجريبيين يرفض القول بوجود حقيقة أخرى غير الواقع المادي الملموس وان الحقيقة الوحيدة الموجودة هي الوجود العيني المستقل للمواضيع الجزئية لذا فهي تركز على التواصل مع هذا

– جدول تحليلي مقارن : جدلية التواصل والأنفصال – عناصر التباين

	جدلية التواصل–الأنفصال والموقف من المعرفة العلمية	الموقف من المعرفة المعمارية	أهم خصائص العمارة والهيئة الحضرية الناتجة
التجريبيون	المعرفة متصلة : تراكمية، تجمعية، متجزئة، تجريبية، نسبية، ممتدة، أرتباطية، شكية.	–أتصال وترابط الجزء مع الكل. – ترابط الفرد مع الجماعة وتأثير القيم الحسية والخبرة الفردية ضمن التاثير الجمعي لها. – أتصال المبنى مع مجاوراته والقطاع مع النسيج الحضري. – العمق الحضاري والتاريخي والتجريبي للجزء المضاف مع الكل الموجود.	– مخططات تجميعية ترتبط فيها الأجزاء مع بعض بعلاقات ضمن الكل الذي لا يفرض شكله عليها. وكذلك ترتبط الأجزاء وتتغير قيمتها مع مجاوراتها وتتأثر بها محافظة على المقياس الحضري والمؤثرات الأخرى. –أستخدام الأشكال الموروثة والعناصر ذات العمق الحضاري التاريخي للمجتمع في القطاع الحضري كجزء مهم في عملية التواصل. – أندماج الجزء مع الكل من خلال التجاوب مع المحاور الحركية والمؤثرات البصرية للكل الموجو والتفاعل معها. *
العقلانيون	المعرفة منفصلة : خطية أتجاهية واضحة ولكنها منقطة بوجود التحول (نقاط الصفر) يقينية، بديهية، مطلقة.	– أنفصال الجزء عن الكل. –أنفصال الفرد عن الجماعة، القيم الفكرية للتأثير الجمعي العام. – أنفصال المبنى عن مجاوراته. – توقف التاريخ والبدء بأضفاء قيم حضارية جديدة للجزء المضاف ودفع الكل بأتجاه مغاير للفكر السابق.	– مخططات ذات مركزية عالية يسيطر فيهاا الكل على اجزاءه. – الأستغناء عن الأشكال الموروثة وتنقية الذهن منها. – التغير بالمقياس الحضري المستخدم وإهمال كافة أو معظم المؤثرات الخارجية على المبنى الجديد. – توفير عنصر الأكتفاء الذاتي من حيث القيم الشكلية والتعبيرية للعنصر المضاف والإبقاء فقط على الأبعاد التأملية والقيم الناتجة من تصميم الفضاءات كعنصر مطلق وعام وشامل. – أنفصال الجزء عن الكل، الحديث عن القديم على مستوى القيم المادية والواقعية للنسيج القديم.

* **أتصال المعرفة** عند التجريبيين يعني أرتباطها مع الواقع المادي والموروث الحضاري للمجتمع أو النسيج لاحضري القائم. أما أنفصال المعرفة عند التجريبيين (ومنهم ايزمن أحد رواد التفكيكية) يرتبط بحدوث أرتجاجات أو تغيرات مفاجئة وتصدعات في الحضارة الإنسانية (كالحروب مثلا) التي بأعتقاده ألماً تشكل دوماً أساساً للأنفصال والتغير وتحطيم القيم الكلاسيكية، وفي عين الوقت تعطي مجالاً للتواصل مع القيم الذاتية الفردية لأفراد المجتمع بحجة أن التواصل والحكم الصحيح له يكون بالأستناد الى ما يقبله الفرد (الذات المدركة) على أنه قيماً صحيحة يقتضي القبول بها.

** **أنفصال المعرفة** هنا عند العقلانيين يعني إمكانية البدء بتكوين وبناء المعرفة الإنسانية أو المعمارية دوماً من نقطة الصفر، أو نقطة التحول. ومجموع هذه النقاط تشكل خطوط التغير في سير المعرفة العلمية. وهذه النقاط قد تحدث نتيجة حدوث ظواهر أجتماعية أو تغيرات طبيعية معينة، ولكنها قد تحدث أيضاً في الظروف الطبيعية، فأعتماد مجتمع ما لقيم معينة متوازنة، قد تشكل لدى العقلانيين أساساً للبحث عن قيم بديلة يكون الوقت قد حان لإحلالها محل القيم الموروثة، على أن تكون القيم الجديدة ذات طابع عقلاني وشمولي وعام ويقيني ومثالى (كما عند الفيلسوف ديكارت رائد العقلانية الحديثة وليه كوربوزيه أحد رواد العمارة الحديثة).

١- جدول تحليلي مقارن : يوضح عناصر التباين المعرفية في جدلية التواصل والأنفصال للأتجاهين التجريبي والعقلاني

	جدلية التواصل-الأنفصال	الأداة	الآلية	القضايا المعرفية والفرضيات	نماذج من القضايا المعرفية المعمارية (الفرضيات)	الحكم على القضايا	نماذج من وسائل العملية التصميمية	الأقيسة المستخدمة
التجريبيون	تواصل فيزيائي انفصال فكري	المشاعر والعواطف والأحاسيس	تداعي المعاني وترابطها والخبرة الذاتية	قضايا مشبهة باليقينيات، المظنونات، المغلوطات، الوهميات، التجريبيات	-الأقل هو الممل Less is bore - التعقيد والتناقض -جمع النقيضين -لامركزية الأجزاء -محلية وشعبية العمارة -نسبية القضايا المعمارية - تعددية الأحتمالات الشكلية -تطابق الجزء مع الكل -الشكل يتبع الفوضى Form follows Fiasco -الفوضى نظام من نوع مغاير Chaos theory	-التطابق -الذاتية، الفردية - القناعة الذاتية في صدق القضايا.	- الدرجة النحتية العالية للكتل - التفاصيل الكثيرة - الأهتمام بتصميم الأمكنة - الزخرفية - أستخدام العناصر الموروثة - حشد العناصر المادية بشكل فوضوي - الأهتمام بالخطوط الأفقية للمكان	القياس الجدلي* والمغالى والخطابي والشعري
العقلانيون	أنفصال فيزيائي تواصل فكري	العقل الفكر	التأمل حدس الماهيات التفكير العقلاني	القضايا اليقينية التجريبيات الصادقة البديهيات الواضحة بذاتها	- الأقل هو الأكثر Less is more - البساطة والوضوح -يقينية ومطلقية القضايا المعمارية - الشكل يتبع المضمون - الشكل يتبع الوظيفية Form follows function -الأشكال الأفلاطونية - النسبة الذهبية - الأستقلالية الشكلية - النمطية الشكلية - الشبكة الديكارتية	- الوضوح -البداهة العقلية -العمومية الفكرية للمجموع في صدق القضية	- التجريد العالى للكتل - تصميم الفضاءات (Spaces) - أستخدام الأشكال الأساسية وعلاقاتها - التقليل من العناصر المادية - الوحدة والهيمنة لعنصر على الآخر	القياس البرهاني*

(ومنهم معماريو الحركة الحديث)، دعوا الى الأنفصال عن التاريخ والموروث المعماري، معتبرين ان المعرفة بناء منفصل وليس خطي أو هرمي، يحتاج دائماً الى الرجوع الى نقطة البداية (العودة) لتنقية الذهن من الفرضيات المتوارثة غير الصحيحة عن طريق المنهج الشكلي البناء الذي يدعو الى تطهير العقل من ما قد علق به من تأثيرات تجريبية حسية غير يقينية، والعودة الى نقاء الأشكال الأساسية الكلية الموضوعية الواضحة بذاتها، والمحاولة دائماً للبدء بمسلمات وقضايا يقينية تتعلق بمفاهيم النمطية والأستقلالية والأشكال الأساسية بمعزل عن التأثيرات المحلية للمجتمعات المتعددة.

ويظهر التعبير عن الأنفصال أعلاه واضحاً من خلال فصل المبنى (فيزيائياً) عن مجاوراته وفصل جزء القطاع الجديد عن الموجود وتنقيته من كل المؤثرات الخارجية حوله وأعطاءه قيماً مطلقة وشاملة أسمى من مجرد العلاقات الفيزيائية الواقعية، فظهرت القطاعات الحضرية المستقلة ذات التخطيطات الشبكية الديكارتية (Cartesian Grid) والمحورية العالية المباشرة والتقسيمات الرباعية غالباً كوسائل للتواصل مع الحقيقة المطلقة الكلية بالتفكير العقلاني، إذ تقل الأحتمالات لتصل أحياناً الى الأحتمال الواحد المطلق للشكل الكلي وتحدد النهايات وتتوضح لتصل الى الملتقى بشكل قرار قطعي يقيني فتظهر الأجزاء هذه (القطاعات الحضرية والأبنية) بشكل كيانات مستقلة قائمة بذاتها معبرة عن نقطة التجول في الفكر ومشيرة دائماً الى أمكانية التواصل مع الحقيقة الكلية بعيداً عن الواقع المادي وتأثيراته الشكلية.

وللتواصل مع الحقيقة الواحدة المطلقة الموضوعية والأنفصال عن الحقائق الجزئية، نرى ان العقلانية تهتم بالتركيز على تصميم الفضاءات (Spaces) العامة والخاصة، داخل وخارج الأبنية وحولها بأعتبار ان الفضاء كيان شامل لا نهائي يمتد خلال الأبنية وحولها يعبر عن عمومية العمارة وتواصلها من خلال تواصل الفضاء الخارجي والداخلي للمبنى وتحويل الجدران الخارجية الى مجال عبور وتلاحم (بأستخدام مادة الزجاج مثلاً وزيادة حجم الفتحات الخارجية) بين الفضاءات كتعبير عن تواصل وأمتداد الحقيقة المطلقة، فالمظهر يقود الى الجوهر والشكل يقود الى المضمون ويتواصل معه ويدفعه لعرض الحقيقة الكلية للمتلقي، ليس عن طريق التواصل الفيزيائي للأجزاء بل عن طريق حدس الكليات الشكلية وأمتدادات الفضاءات.

وفرديتها ، وهذه المقولة هي ترجمة فعلية لنسبية الأحكام [13].

وعلى مستوى الهيئة الحضرية يحاول الفكر التجريبي ان يعبر عن ضرورة الجزء المضاف (Additive) للكل الموجود (Existing) فيظهر تعزيز للمحاور الحركية والبصرية الموجودة وتقوية للشرايين التقليدية للنسيج الحضري (Fine grains) ومحافظة على المقياس الكتيلي للمنطقة ومجاوراتها، كما عند معماريي السياقية (Contextualism) او في العمارة لعضوية Organic Architecture فيظهر الجزء مكملاً للكل ومحترماً كل علاقاته وعناصره. ويظهر المبنى متوافقاً مع الأبنية المجاورة له مع الأخذ بالأعتبار التأكيد على دور التواصل التاريخي للمبنى من خلال المعنى الذي يتضمنه في الأجزاء التي يعاد استخدامها بتضمينات جديدة لرفع القيمة الأدراكية كما في مبادىء التوجيهات التضمينية لعمارة ما بعد الحداثة والتي تفهم العمارة على انها استجابة حضارية وتاريخية وليس مجرد انتقاء لمفردات معمارية من الماضي، كما انها تستوجب تعلم الدروس العلمية المختلفة من مجالات معرفية أخرى كالهندسة والعلوم السلوكية وهو جزء من عملية التواصل الذي تناشد به التجريبية.

وخلاصة القول ان التجريبية تدعو للتركيز على تصميم الكتل البنائية وحشد العناصر الفيزيائية (المادية)، إذ ان مما لا شك فيه ان الدرجة النحتية العالية للكتل والتكثيف الزخرفي يدعو الى أثارة عواطف ومشاعر المتلقي، وهذا يعني التركيز على ذات المتلقي وتأويلاتها أكثر من التركيز على الطاقة التعبيرية الكامنة للموضوع، فيكون الموضوع غير ذا عنوان وغير ذا حدود، وأنما تحده الدرجة العالية من التأويلات المتعددة للمتلقي كل حسب خبرته الذاتية.

أما العقلانية فتبنى أساساً على التواصل الفكري للقيم والمفاهيم المطلقة والشاملة والعامة للموضوع، هذا التواصل يستدعي فصل العنصر عن مجاوراته والفرد عن المجموع والجزء عن الكل ودفع المتلقي نحو القيم الموضوعية من خلال طرح مواضيع لا تثير حواس المتلقي مباشرة وأنما تتطلب درجة عالية من التأمل وحدس القيم والماهيات الفكرية المطلوب التواصل معها والمتضمنة في الطاقة الكامنة للموضوع، بعيداً عن كل المؤثرات الفيزيائية وكل الخبرة الذاتية والحسية للفرد. إذ تعتمد النظريات العقلانية المعرفية وترجمتها على المستوى المعماري والحضري على القضايا القينيات كالأوليات الواضحة بذاتها والأوليات الرياضية والمنطقية الأولى، والبدء بمفاهيم كلية وقوانين عامة تحاول تطبيقها على الظواهر الجزئية المتغيرة (كما في مفهوم الأشكال الأساسية ومفاهيم النمطية والبنيوية والأستقلالية). إذ تحمل كل من هذه المفاهيم قيماً بعلاقات على المستوى الفكري يمكن فهمها والتواصل معها عبر الحضارات المختلفة وتغير وتعدد الطرز وأختلاف انعكاساتها الشكلية.

فقد تبنت الحركة الحديثة مثلاً كل القيم للعقلانية وبكل ثقلها معبرة على التواصل الفكري للأنسانية فأعتبرت ان العمارة يجب ان تكون شاملة للبحث عن الحقيقة المطلقة والموضوعية الأبدية الشاملة وهي العنصر الأساس ومحور التواصل الفكري وهي تسمو فوق الحقائق الجزئية وتنفصل عنها وعن كل القيم التقليدية أو الذاتية (الفردية والمحلية).

كما تسعى العقلانية في المعرفة الى الدعوة للأنفصال عن التاريخ أو وقفة وأمكانية البدء من نقطة الصفر (نقطة التحول) بالأعتماد على أفراغ الفكر من العوالق والشوائب المتمثلة بالقيم التقليدية الموروثة التي علقت به والبدء بمسلمات بديهية واضحة بذاتها ويقينية، فأن العقلانيين من المعماريين والمصممين الحضريين

2- جدلية التواصل والأنفصال

يعتمد التجريبيون على التواصل الفيزيائي - المادي في التأثير على المتلقي، وتكون أداة التواصل لديهم هي العواطف والأحاسيس، فبأثارة حواس المتلقي (بصرياً مثلاً) يحاول المعماري والمصمم الحضري التأثير عليه من خلال مفهوم تداعي المعاني Association [9] الذي نراه يتكرر في الفكر التجريبي، والذي يعبر عن فكرة أرتباط معنى بآخر مستثيراً كل الخبرات الذاتية الفردية للمتلقي ومحققاً التواصل معه. ان ذلك الأمر يستدعي بالضرورة الأهتمام بالعناصر والتفاصيل التي تثير عند المتلقي عاطفة ما تجعله يتفاعل مع الموضوع. كما يتطلب هذا الأمر التركيز على تصميم الكتل البنائية أكثر من الفضاءات حولها او داخلها، لما يحمله هذا التوجه من أستثارة للعواطف والمشاعر كجزء مهم من العملية التصميمية وأيصال الفكرة الى المتلقي، إذ أن التجريبيين يعتمدون على القضايا الحسيات والتجريبيات و المظنونات والمخيلات والمتوترات[10] وتترجم هذه في الفكر المعماري أعتماد أشكال موروثة متفق على جماليتها (كالشناشيل والأعمدة والتفاصل التقليدية) وبنسخها وأعادة تكرارها ضمن الموضوع تثير شجون المتلقي وعواطفه فتعزز أتصال الذات الفردية بالموضوع العام، كما عمد الى ذلك معظم معماريي ما بعد الحداثة (وعلى رأسهم فنتوري).

لقد أعتمدت ما بعد الحداثة على مفاهيم الفكر التجريبي المعرفي بكل ما يحمله من أسس نظرية بالأخص بأعتماد مقدمات قضاياها (كما أشرنا أعلاه) على القضايا الحسيات والمتواترات والمشاهدات كمقدمات يقينية ومسلمات مفروغ منها مقابل المقدمات اليقينية لعمارة الحداثة. وأستندت ما بعد الحداثة بذلك على تواتر وتوارث الأشكال المحلية والعناصر المنفردة المؤثرة حسياً وبصرياً على المتلقي، رغم تغيير الوسيلة التي استخدمت بها الأشكال (بطريقة تهكمية أو تغير المعنى للعنصر المستخدم). بدعوى ان هذه الأشكال تؤثر في المتلقي وتكتسب موافقته ورضاه وتتواصل مع خبرته الذاتية، بعيداً عن الأشكال اليقينية الخالية من التعبير الذاتي الفردي.

كما يعتمد التجريبيون (المتاطرفون منهم) على القضايا المغالطات والمشهورات في الظاهر والمشبهات باليقينيات [11] كأساس لأثارة عواطف المتلقي وتحقيق التواصل الذاتي والفردية العالية في مخاطبة كل ذات على أنفراد (بحسب تأويلها)، وهذا ما تسمح به الدرجة العالية من تعددية القرار ولا مركزيته، من خلال أستخدام أشكال تبدو في الظاهر مقبولة ولكنها تحمل قيماً فكرية غير ما تبدو عليه، أشكال يشير ظاهرها بأنها حقيقة ويقينية ولكنها تدعو في النهاية الى الشك اللايقيني وتعليق الحكمSuspension of Judgment [12] حيث تؤثر هذه القضايا او الفرضيات الشكلية في البداية أيجابياً في التواصل مع الذات الفردية ولكنها تقود في النهاية الى التأثير السلبي على الفكر لعدم ارتكازها على قواعد منطقية عقلية. ويظهر ذلك واضحاً عند معماريي التفكيكية الذين يعمدون بآثاره عواطف وحواس المتلقي كجزء من عملية التواصل معه وأستغلال ذلك في طرح أفكار معينة، مثل جمع النقيضين وتعددية المراكز والتشويش الفكري وتجزئة الكل وتحطيم القيم الكلاسيكية للوحدة والمركزية وتعويم القرار الواحد بحجة ان هذه القيم تشكل نظاماً من نوع آخر يعبر عن الذاتية والفردية العالية، فالتواصل هنا يكون مع الجزء (الذات) ويصبح قرار الحكم الفردي ومعيار الحق في القضايا هو الدرجة العالية من التواصل والتحقق الذاتي "فكل ما هو جميل عندي فهو جميل وكل ما هو جميل عندك فهو جميل" ، وهذه المقولة التي طرحها السفسطائيون من قبل وتبنوا فيها الشك في كل معرفة حقة والدعوة الى ذاتية الحقيقة

الأعتبار الأهتمام بالتوجهات الأفقية للأبنية بأعتبار أنها تمثل مستوى الفعل المادي الواقعي للأنسان.

ان التجريبية أقيمت على أساس ان التجربة هي مصدر المعرفة وبالتالى فأن شكل الهيئة الحضرية يجب ان لا يتحدد مسبقاً بأطر قبلية مفروضة ومقحمة عليه بل ان يخضع لمعايير الذوق والحس والعواطف والفن، وان يترك للخبرة الفردية الذاتية حرية التأويل والتفسير دون إجبارها على التقيد بأحتمال واحد مطلق شامل، بل توفير عدة بدائل وأحتمالات تخضع للأختبار والأنتقاء من خلال تعدد العناصر والمكونات، أو إستخدام عناصر ذات التضمينات المعنوية المتعددة. لذا فأن الأشكال المعمارية التجريبية جاءت متجزئة لإعطاء أهمية للجزء ضمن الكل (العضوي غالباً)، وأعتمدت على التأثيرات العاطفية والنفسية بأستخدام المحاور المتعرجة والمنحرفة لخلق التسلسل والتعاقب البصري بتغير المكان والزمان الآني. فأن المقدمات الشكلية للتجريبية لم تكن يقينية مطلقة بل كانت دائماً احتمالية بل وحتى شكية تعرض للتساؤل والتمحيص والتجربة، على اعتبار ان المعرفة الأنسانية الحقيقة، حتى وان وجدت (وهذا ما يشك فيه أغلب التجريبيين) فهي معرضة للتعديل والتغير، حتى في أكثر القضايا الرياضية دقة وموضوعية. لذا فالحل الأنساني يجب ان لا يكون في البحث عن المعرفة المطلقة بل في تعدد وتنوع وتناقض أوجهها المختلفة ذات الحقائق النسبية المتغيرة كنوع من الحقيقة المعرفية. أما مفاهيم العقلانية، فأنها تتجسد على مستوى العمارة والتصميم الحضري بأعتماد الأشكال الواضحة والنقية وهي الأشكال الأساسية التي أشار اليها أفلاطون وأعتبر أنها تمثل أشكال واضحة بذاتها. وكذلك في أعتماد التخطيطات الهندسية المتعامدة التي غالباً ما يشار بها الى الإحداثيات الديكارتية الثنائية (ثنائية الزمان والمكان) ، وفي أستخدام المحاور الواضحة والكتل البنائية ذات الأشكال الأفلاطونية بأعتبارها تمثل مبادىء شاملة عامة. وتعتمد العقلانية في التصميم الحضري أيضاً على مبادىء التناظر والأنتظام والتدرج كقيم أزلية مطلقة والتي غالباً ما تنتج بإقحام شكل كلي واحد مسبق في تصميم الهيئة الحضرية أو تخطيط المدنية، مما يعكس الفكر الفلسفي في سيطرة الكل على الأجزاء. وهناك العديد من المشاريع العقلانية التي تعتمد على الأهتمام بالمحور العمودي بأعتباره يعكس قيماً فكرية للأبتعاد عن الواقع المادي والسمو بأتجاه القيم والمفاهيم الموضوعية المجردة ذات خصائص شمولية عامة.

أن طريقة التفكير العقلانية والتي تجسدت بالحلول الهندسية مثلاً (كما عند الأغريق وغيرهم). أقيمت بناءا على أفتراضات أعتمدت كبديهيات مسلم بها ومسبقة Apriori وتمثل بالتالى حقائق واضحة بذاتها وغير قابلة للتحليل والأستفسار فتتولد منظومة من الأفتراضات تقود الى نتائج معينة بالأستدلال العقلي تعطي حقائق عن الواقع الموجود فيكون بالتالى معيار الحقيقة ليس الخبرة الذاتية ولكن الثبات المنطقي في البناء الفكري. لذا كانت الأشكال الأساسية المعمارية العقلانية تمثل بديهيات لا يمكن الأستغناء عنها، كما لا يمكن أهمال النتائج المستخلصة منها بالأستدلال المنطقي، وهي نتائج لا تخضع لمقياس التجربة، ولكن للكيفية التي يتم أستدلالها من المقدمات. وقد حاولت العقلانية الجديدة في طروحاتها عن المدنية والهيئة الحضرية إعادة الإشارة الى المبادىء الأساسية للرواد العقلانيين و رواد العمارة الحديثة بأعتبار ان الأشكال الأساسية الكاملة والألوان الأساسية (كالأبيض مثلاً) وتركيباتها تعكس بوضوح غير قابل للبحث والسؤال، الحقيقة الموضوعية لماهية العمارة وهي العمارة الشاملة المطلقة التي ظلت و لا تزال الحلم الذي يواود الأنسان في بحثه عن الخلود.

الذي يوحي بالفكرة والذي يسمى بالتحليل Analysis الذي يقود الى الرضية ثم الأستنتاج والتركيب Synthesis الذي يصل الى صياغة القانون او المبدأ العام الذي يعمم على الظواهر. كما يعتمد المنهج العلمي ايضاً على التجربة من خلال دراسة الظاهرة وعزلها وأكتشاف العلاقات القابلة للتكرار فيها [2].

و بينما أعتقد بعض التجريبيون انه يمكن التوصل الى معرفة يقينية بأعتماد المبادىء العلمية فأن المناطقة الوضعيين (وهم من التجريبيين) أشاروا لا أنه يمكن الوصول الى درجة عالية من الأحتمالية اليقينية بالأعتماد على التحليل المنطقي الصارم للغة العلوم[3]. أما الظاهراتيون فقد اعتبروا ان موضوعات العالم الخارجي تتألف من عناصر تمدنا بها الحواس، وان ما يشكل عناصر الحقيقة للعالم ليس الموضوعات بل الأحساسات بمختلف انواعها [4].

أما العقلانية، فأنها تقوم بالأساس و رغم الأختلاف في وجهات النظر المنفردة لها، على اعتبار العقل يتمكن من الوصول الى المعرفة اليقينية الثابتة وبشكل منفصل عن التجربة وبالأعتماد على المعرفة العقلية الفطرية الأولية Apriori . وتشمل قضايا المعرفة هذه مجموعة من المبادىء الأولية أو المسلمات Postulates ومنها مبدأ الهوية ومبدأ عدم التناقض الذاتي [5].

يقوم المنهج العقلاني على الأستدلال Deduction بشكل رئيس ويتخذ الحدس جانباً مهماً منه، كما يعتمد على التحليل Analysis أساساً في صياغة وبناء المعرفة، وترفض العقلانية اعتماد الأستقرار منهجاً، إذ تعتبر ان الكليات سابقة على الجزئيات وأن عالم المطلق ثابت وكلي وأزلي، بينما عالم الظاهر متغير ونسبي ومتجزأ. كما تعتمد العقلانية على التركيب، ولكن هذا الأخير يقوم على أساس قواعد وقوانين كما في القوانين المنطقية للرياضيات، لذا كانت الرياضيات وعملياتها النموذج الأعلى للعقلانية[6]. وبينما كانت الرياضيات الكلاسيكية تدرس الكائنات الرياضية بوجود الحقائق البديهية الحدسية، أصبحت الرياضيات اليوم أشكالاً من البنيات Structure تجمعها خصائص جوهرية مشتركة، ولم يعد المنهاج الرياضي حدسي أو أستنتاجي فقط، بل أصبح مجموعة من الأجراءات أو التحويلات Transformation تجري على تلك البيانات [7]، وأصبح الأستنتاج ليس الكشف عما هو مفروض في المقدمات ولكن جملة أجراءات تجري على معطى ما لأستخلاص حاصل جديد من حاصل قديم، وأصبح المنطق مجرد لغة يستعملها الرياضيون لتعزيز التماسك المنطقي [8].

1-2- في الفكر المعماري والحضري

وفي العمارة والتصميم الحضري تبنت التجريبية الفكر القائل بأن التجربة وبالأخص التجربة الحسية أساس المعرفة، معرفة الأنسان وإدراكه لبيئته. لذا فقد أعتمدت بالأساس على نسبية المعرفة الحقيقية والمبادىء العامة بأعتبار ان القيم الجمالية ترتبط من حيث القبول والرفض بالمشاعر والأحاسيس الفردية الذاتية التي ترتبط بدورها بالخبرة الأنسانية. وقد أعتبرت التجريبية ان الأشكال الكاملة ليس لها أساس تجريبي و لا تمثل حقيقة المعرفة، بل ان التغير والتنوع والتعدد والغموض والمفاجئة والتعقيد في الهيئة الحضرية تمثل عناصر للمتعة الروحية والنفسية. وان الشكل الكلي ينتج من تجميع أجزائه المهمة التي غالباً ما ترتبط بعلاقات عضوية مع الكل، او تجريبية بمعنى انها تبقى دائماً معرضة للأحتمالات الشكلية بوجود التفاعل مع الذات الأنسانية معها. لذا فأن التجريبية ترفض وجود أشكال مسبقة مقحمة على البيئة الحضرية. وتأخذ أغلب مشاريع التجريبيين بنظر

تمهيد

بالرغم من كل التبدلات في الفكر الأنساني عبر التتابع الحضاري لتاريخ البشرية، يبقى السؤال الأزلي، ذي لشقين قائماً... هل التجربة هي المجال الوحيد لآستحصال المعرفة الأنسانية؟ أم أن العقل مصدر كل المعرفة الى اليقينية ورغم تغير النظرة حول ماهية المعرفة ومصادرها وأزدياد الأعتقاد بدور الحدس في المناهج العلمية والمعرفية، الا أن التجربة والعقل لايزالان يقفان عل طرفي المعادلة المتعلقة بتوازن المعرفة العلمية، وكثيراً ما يشكلان طرفي نقيض في مجمل النظرة الى المعرفة الأنسانية وبالتالى المعرفة المعمارية.

تتناول هذه الورقة محاولة توضيح عناصر الأختلاف والتباين في تناول مفهومي التواصل والأنفصال عند كل من الفكر التجريبي والفكر العقلاني كجانب من جوانب البنية الفكرية المعرفية للأنسان Epistemology Structure وبالتالى انعكاساتها في العمارة والتصميم الحضري، لأستخلاص خصائص العمارة العربية الأسلامية والكيفية التي تعاملت بها مع هذه المفاهيم، بغية التوصل الى نظرة أشمل وأوسع للعمارة المعاصرة . وسيعتمد البحث هنا على المنهج التحليلي المقارن من خلال دراسة سابقة في النصوص والمقولات التي طرحها كل من الفكرين التجريبي والعقلاني أستنباط كل ما له علاقة ببناء عناصر الجانب المعرفي لمفهومي التواصل والأنفصال. وسيعتمد بالدرجة الأساس على تحليل الفكر المتطرف لكل من التوجهين وذلك بغية الوقوف على أسس لتباين والتمايز بين التيارين، بأفتراض أن معرفة كل طرف تتطلب تحليله الى عناصر بناءه الأساسية ليتسنى مقارنته مع الطرف الأخر بشكل موضوعي وحيادي ودقيق، كما سيمكن ذلك لاحقاً من الوقوف على المجال الوسطي المشترك بينهما والذي يشكل مجال التمازج والتقارب.

1- جذور الصراع بين التجريبية والعقلانية

1-1 في الفكر الفلسفي والمعرفي

تقوم التجريبية، و رغم الأختلاف في توجهاتها، على أعتبار ان التجربة أساس المعرفة الحقة. وترفض القول بوجود أي معرفة قبلية Apiori ، بل وتعتبر كل المعرفة هي بعدية Posteriori تأتي عن طريق الحواس بشكل ملاحظة مباشرة أو غير مباشرة، أي يمكن أرجاعها بالتالى الى الحواس. وتشمل هذه المعرفة كل المشاعر والأحاسيس الناتجة من خبرتنا في ادراك مواضيع المعرفة في العالم الخارجي والتي تشكل جزء من التجارب اليومية الخاصة بالأفراد ولا يمكن بالتالى تعميمها. ويعتمد المنهج التجريبي على الأستقراء Induction الذي يقوم على جمع الملاحظات والمشاهدات للظواهر الطبيعية للوصول الى حكم عام عنهما [1].

ورغم ان بعض التجريبيين وخلال فترات أعتبر أن الحقائق الرياضية هي حقائق تركيبية قبلية، إلا أن البعض الأخر أعتبر أنه حتى الحقائق الموجودة في الرياضيات والمنطق له أصل تجريبي من الواقع، وبذلك يرفض التجريبيون المنهج الأستدلالى رفضاً قاطعاً لأعتقادهم بعدم وجود ما يبرر تكون المقدمات الكلية للقضايا في الذهن قبل البحث عن معطياتها في الواقع.

يمثل المنهج العلمي Scientific Methodology النموذج الأعلى للتجريبية، وهو عبارة عن سلسلة من الأجراءات العلمية التي تهدف الى الأنتقال تجريبياً بالفرضية التخمينية الى الفرضية المؤكدة. ويعتمد المنهج العلمي على الأستقراء العلمي